

ذلك ما جعلهم يتخيلون المسيح الذي وعد به الأنبياء، ملكاً ذا بأس وقائداً يمشي إلى القتال على رأس الألوف المسلحة ليقودها إلى النصر، وبطل نهضة قومية، وافتقاراً من الله لمذلة شعبه.

وجاء يسوع يدعو بتعليمه وحياته إلى الوداعة والانتزاع والتجرد والتكفير عن الخطيئة والتسامح وحمل الصليب وسلوك الطريق الضيقة. أجل هو يقتضي أتباعه الجهد العنيف، ليتسنى للنفس أن تسمو بالمحبة إلى الحياة في الله.

ليس من ينكر الدور اللامع الذي قام به الكتبة والفريسيين حفظاً لكيان أمتهم ودينهم عبر التاريخ، وما يعنيه التاريخ في حياة إسرائيل من اضطهاد وتشتيت وحروب وجلاء وضربات إلهية، إلا أنهم يحملون تبعة أعظم إثم في تاريخ البشرية. وليس لهم أي عذر في موقفهم من يسوع لأن ما دعا إليه يسوع وما علمه، وان صدم به عقلية قد تحجرت واعتقادات رسخت في الدم، فقد قدمه للشعب وعليه ختم بالمعجزات الباهرة التي جرت على يديه، ومعظمها مكافأة على الإيمان به أو شهادة إلهية على صدق ما يقول. " الأب الذي أرسلني، هو يشهد لي".

وإنما شهادة الأب العظمى التي تثبت رسالته وتحمل النفوس على الاستسلام في ثقة واطمئنان، هي كل القداسة السامية التي لمعت في حياته. ووفق القداسة والنور هذا، يكفي وحده ليدعو إلى التفكير في أمر له هذه الخطورة، إي إنسان ذا إرادة مستقيمة وقلب مشرع على النور.

وملكوت الله؟ أليس وقفاً على إسرائيل، أسرة الرب، يعيش فيها بين أبنائه ويُعقد عليهم، دون سواهم، كنوز محبته. جاء يسوع ينادي بملكوت الله يشمل جميع الأمم ويضمها في أسرة واحدة، أبوها واحد وهو الله، وأعضاؤها أخوة متساوون، لا يميزهم شيء حتى الانتساب إلى إبراهيم ولا يقربهم إليه سوى المحبة والثقة والإيمان بالابن الحبيب الأوحد.

أين امتيازات إسرائيل؟ أين كرامة الدم الشريف، دم إبراهيم وداود، الذي يسري في العروق؟ كيف يتساوى أبناء الأسرة الاصيلون، أبناء "الحرّة"، بالدخلاء أبناء " الأمة"؟ فهذا الجليلي ملحد يخون قومه " وخبر أن يموت من أن تهلك الأمة كلها". ذلك كان منطق الكتبة والفريسيين ورؤساء الشعب في يسوع وكرازته.

### مسيح الفريسيين ويسوع الناصري

لقد سبق لنا مراراً إنا اشرنا في شتى المناسبات إلى فكرة الأوساط اليهودية في المسيح المنتظر. وهي فكرة انبثقت فيها من نظرة سطحية ناقصة في كتب الأنبياء، لعبت في أدمغة بعض المؤلفين في القرن الأول قبل المسيح والرابعيين، فأشعلت في نفوس أذلتها المصائب القومية، كالجلاء والاضطهاد السلوقي والاحتلال الروماني الوثني، نار حماسة شديدة وعصبية متضرمة، وبعثت الاما الوطيد بنهضة قومية تعيد مجد داود وسليمان وتنتقم للأمة الذليلة من أعدائها، وتخضع الأمم كلها لسيف إسرائيل ونير شريعة موسى.